



ضمام ابن ثعلبة

03 برنامج موقف و عبرة

الحلقة السابعة

2016-05-07

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قصة ضمام بن ثعلبة مع النبي صلى الله عليه وسلم :

موقف اليوم ترويهِ لنا كتب الحديث والسيرة عن أنس رضي الله عنه يقول:

{ بَيْنَمَا تَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلِي، فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أُنَبِّئْكُمْ مُحَمَّدًا؟ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْكِيٌّ بَيْنَ طَهْرَانِيهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِيُّ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ أَجَبْتُكَ. فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمَسَدَدُ عَلِيٍّ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدُ عَلِيًّا فِي تَفْسِيكَ؟ فَقَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، أَلَلَّهِ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ تَعَمْ. قَالَ: أُنَشِدُكَ بِاللَّهِ، أَلَلَّهِ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْحَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ تَعَمْ. قَالَ: أُنَشِدُكَ بِاللَّهِ، أَلَلَّهِ أَمَرَكَ أَنْ تُصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ تَعَمْ. قَالَ: أُنَشِدُكَ بِاللَّهِ، أَلَلَّهِ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَعْيَابِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَيَّ فُقْرَانِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ تَعَمْ. فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتُ بِهِ، وَأَنَا رَسُولٌ مِّنْ وَرَائِي مِّنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَحُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ، ثُمَّ انصرفت راجعًا إلى بعيه فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وُلِّيَ إِنْ يَصْدُقُ ذُو الْعَقِصَتَيْنِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَأَتَى إِلَى بَعِيرِهِ فَأَطْلَقَ عَقَالَهُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِي فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: بِنَسَبِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى، قَالُوا: مَهْ يَا ضِمَامُ، أَتَقِي الْبَرَصَ وَالْجُدَامَ، أَتَقِي الْجَنُونَ، قَالَ: وَبَلِّغْهُمَا وَاللَّهِ لَا يَصْرَافَانِ وَلَا يَنْفَعَانِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا اسْتَنْقَدَكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَتَهَاكُمُ عَنْهُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ وَلَا

امراًةً إِلَّا مسلماً، قال يقول ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه {

(رواه البخاري)

بئسما تخن جُلوس مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ -أَي رِبَطَهُ - ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَكِيٌّ بَيْنَ طَهْرَانِيهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَكِيُّ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَذُ أَجْبَتِكَ. فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُسَدِّدٌ عَائِلُكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا يَجِدُ عَلَيَّ فِي تَعْسِكَ؟ - لا تلومني - فقال: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، فقال: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فقال: اللَّهُمَّ تَعَمَّ. قال: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قال: اللَّهُمَّ تَعَمَّ. قال: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَعْيَابِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَانِنَا؟ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ تَعَمَّ. فقال الرَّجُلُ: أَمَنْتُ بِمَا جِئْتُ بِهِ، وَأَنَا رَسُولٌ مِنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامٌ بَنُ ثَعْلَبَةَ، ثُمَّ انصرفت راجعاً إلى بعيره فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين ولى إن يصدق ذو العقيصيين - ضمام بن ثعلبة - يدخل الجنة، يقول أنس: فأتى إلى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال بنسب الأث والغزى - صنمان من أصنام الجاهلية - فقالوا: صه يا ضمام! اسكت - أتى البرص والجذام، أتى الجنون، فقال، وبلكم إيهما والله لا بصتران ولا ينفعان، إن الله عز وجل قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه، وإنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمدا عبده ورسوله، إني قد جننتكم من عنده بما أمرتكم به وتهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، قال: يقول ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه وأرضاه.

هذا هو الموقف، وأما العبرة فنستنبطها من مقولة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حينما قال له الرجل: يا بن عبد المطلب، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَذُ أَجْبَتِكَ.

إجابة السائل بمودة يدفعه للالتزام بأوامر الله :



إجابة السائل بمودة

هذا الرجل حينما دخل المسجد لم يكن مسلماً، هو أعرابي جاء يتعرف إلى هذه الدعوة الجديدة، لكن حينما قال له صلى الله عليه وسلم: قد أجبتك، علمنا درساً مفاده أنه ينبغي أن نجيب الناس إلى ما يطلبونه منا، حتى لو لم يكن هذا السائل مسلماً، فليس في هذا حرج، بل على العكس تماماً أنت حينما تجيب إنساناً غير مسلم، أو بعيداً عن الله عز وجل، حينما تجيبه إلى طلبه، وتشعره بأنك كلك أذان صاغية له، حينما يشعر بتقديرك له، فيدخل حبك إلى قلبه، وقد تكون هذه الإجابة، وتلك المودة، وذاك الإشعار بالقرب، قد يكون كل ذلك دافعاً له إلى الدخول في دين الله عز وجل، وقد تكون هذه الإجابة دافعاً له إلى الالتزام بأوامر الله تعالى.

الأخلاق العالية طريق الإنسان للتقرب من الناس :



الأخلاق تكسب قلوب الناس

أيها الأخوة؛ هذا رجل قال: إني سائلك فمُسَدِّدٌ عَائِلُكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، أي سوف أغلط لك في القول بطريقه قد لا تكون مناسبة، هل قال له صلى الله عليه وسلم: اخرج؟ هل قام أحد من أصحابه وقال: من هذا الذي يجترئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ على العكس تماماً، يقول له صلى الله عليه وسلم: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، بهذه الأخلاق العالية فتح النبي عليه الصلاة والسلام قلوب الناس بإحسانه قبل أن يفتحوا عقولهم لبيانه، وأنت إذا أردت أن تكسب الناس فعليك أن تكسب قلوبهم بإحسانك إليهم قبل أن تخاطبهم بالبيان. أيها الأخوة الكرام؛ هذا الموقف يعلمنا أننا إذا أردنا أن نتقرب إلى الناس، وأن يحبنا الناس فينبغي أن تكون أخلاقنا عالية، وأن نتعامل معهم بمودة وقرية منهم. إلى لقاء آخر.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

نور الدين الاسلامي